معابدها بأسوار ضعيفة وحراسات مسنة

مارب.. أم الحضارات ومعشوقة الباحثين والآثاريين حول العالم

مارب إحدى أهم وأبرز المدن الحضارية ليس على مستوى اليمن فحسب بل وعلى المستوى العالمي فقد حظيت باهتمام عالمي واسع بين علماء التاريخ والآثار واحتلت شهرة كبيرة لدى الكثير من رواد الحضارة ومعجبيها حيث كانت عاصمة الدولة السبئية تلك الدولة التى وصل صيتها انذاك إلى أدنى الارض اشتهرت الملكة بلقيس كأهم وأبرز ملوكها ومع أنها قامت وانتهت في فترة ما قبل الاسلام إلا أن صيت هذه الدولة لايزال يدق المسامع ويسلب الالباب حتى وقتنا المعاصر من مكانتها أن القرآن الكريم ذكر قصة هذه الدولة وملكيتها والازدهار التي وصلت إليه.

ومن هذا المنطلق برزت الاهمية الحضارية لمدينة مارب حاضرة هذه الدولة العظيمة التي شرفها القرآن الكريم بالذكر والتذكير ولعل الجميع يعرف قصة سيدنا سليمان عليه السلام مع الملكة بلقيس ..

الثورة السياحي زار مدينة مارب ومع أنها تحوي الكثير من المواقع والمعالم الاثرية إلا أن أهم المواقع الاثرية تتمثل في المعبدين القديمين : مدينة مارب القديمة وسدها العظيم اللذان شهدا تجديداً في النصف الثاني من القرن الماضي

استطلاع/ عبدالباسط النوعة

مدينة وأطلال

– قد يطول الحديث عن مارب وحضاراتها ومواقعها ومعالمها ولكننا سنحاول قدر الامكان اختصار الكلمات والجمل والبعد عن الوصف والشرح فإذا اردنا الحديث المفصل على مارب حضارة وأناساً فربما يحتاج هذا إلى فريق متخصص ووقت طويل يتمخض بعدها عن الكثير من الكتب وربما مجلدات وما سنحاول التركيز عليه هو الوضع الذي هي عليه تلك المعالم التي زرناها، فمدينة مارب القديمة أصبحت أطلالاً بعد أن كانت وإلى وقت قريب جداً عامرة بالسكان والحركة فهي واقعة على هضبة مرتفعة عن الارض بعشرات الامتار، وفيها من المنازل الكثير جميعها مبنية من الطين وربما أنها قرية قديمة ولكن عندما سألنا عنها قيل لنا أنها مدينة مارب القديمة فقد لاحظنا عند دخولنا إلى بعض منازلها القديمة لاسيما تلك التى لازالت حالتها جيدة بعض الشيء مقارنة بمنازل أخرى تهدمت بشكل جداً بل أن البعض وصل إلى الانهيار الكلي باستثناء بعض المنازل التى استطعنا الوصول إلى أسطحها وما لاحظناه هو احتواؤها على بعض المواد المستخدمة بالبناء الحديث من الداخل فمثلاً سالام تلك المنازل «الدرج» تم طلاؤها بالاسمنت كما أن جدرانها يحوي طلاء بألوان مختلفة «رنج» حتى الاسطح تم تغطيتها بالاسمنت الأمر الذى يدلل على أن هذه المنازل كانت مسكونة إلى وقت قريب جداً وهذا ما أكده أحد المرشدين السياحيين الذى قال إنه يتذكر هذه المدينة أو القرية وفيها بعض المنازل المسكونة فقد زارها مراراً مع السياح وكان يشاهد الكثير من المنازل المهدمة الا أنه كان يصادف أناساً لازالوا يسكنون في منازل أخرى لازالت عامرة وخلو هذه المدينة من السكان ربما كان السبب في تدهور حالتها وانهيار أجزاء من منازل كانت عامرة، وبالتالي هذه المدينة ذات الموقع الجميع الشبيه بالحصن والمطلة على ساحات شاسعة وأراض وحقول واسعة أصبحت خالية من السكان باستثناء بعض الكلاب التى أثرت البقاء ومواصلة العيش فيها وهذا ليس بغريب عن الكلاب التى اشتهرت بالوفاء والاخلاص للإنسان وهاهي اليوم تضرب أروع الامثال في الإخلاص للوطن.

كما هو محزن أن تتحول هذه المدينة التاريخية إلى أطلال في زمن اتجهت فيه أنظار العالم إلى الحفاظ على الحضارة والتاريخ والعمل بكل السبل المتاحة لجعل المدن التاريخية نابضة بالحياة، وها نحن نسجل إهمالاً كبيراً وتقصيراً فاضحاً تجاه هذه المدينة التاريخية، فلو تمت مساعدة الاهالي بما يضمن لهم البقاء في هذه المدينة لما فكروا بالتخلى عنها ومغادرتها وتركها فريسة سهلة لعوامل المناخ والتعرية التى عملت وفي وقت قصير جداً على التهام أجزاء كثيرة من منازلها التى كانت عامرة لمئات السنين بفعل حفاظ أهلها ورعايتهم لها، فالبيت المهجور مهما كان قوياً يضعف أمام عوامل المناخ فياترى هل نحافظ على ما تبقى من أطلال تلك المدينة؟ أم أنها ستختفي بعد سنوات وتساوى بالارض التى بنيت عليها وبدل أن نقول هذه المدينة نقول كانت هنا مدينة؟؟

جمود

ويوجد أسفل الهضبة التي تحوي المدينة مسجداً قديماً جداً يقال أنه كان معبداً وبعد الاسلام تم تحويله إلى مسجد وحالته لاتختلف عن حالة المدينة فقد أصبح مهدماً ومخرباً بشكل كبير وكان سطحه يرتكز على دعامات خشبية لازال القليل منها واقفاً يحمل أجزاءً من السطح باقية، مع أن معظم سطحه قد سقط.

وبالتوجه إلى سد مارب الذي كان لا يخلو أبداً من السياح ومواكب السيارات فضلا عن الباعة والمرشدين أصبح المشهد مختلفاً تماماً فلم نصادف أحداً يزور السد سواءً من اليمنيين أو العرب أو حتى الاجانب باستثناء أحد باعة الاكسسوارت التقليدية الذي لازال مصراً على مهنته وهو من أخبرنا بأن السد أصبح يشكو انعدام زائريه بعد أن كان يضج بازدحام الناس، وأضاف ذلك البائع أنه كان يعود إلى منزله ولديه من الرزق الكثير والكثير وفي الآونة الاخيرة وتحديداً الثلاث السنوات الماضية فلم يعد يتحصل حتى على القليل وفي معظم الأيام يعود إلى منزلة دون أن يتحصل على شيء ومن النادر جداً أن يبيع إلا إذا صادف بعض الزوار وهذه الحالات نادرة جداً قد تحدث في الشهر أو الشهرين يوماً واحداً، وأكد أن أيام ازدهار السد كان يتحصل في معظم الايام على مبالغ طائلة تصل إلى المائة أو المائتي دولار وربما تزيد وعزى أسباب هذه الحالة التى وصلت إليها السياحة بحجة العمليات بل وفي المحافظة بأسرها إلى إقفال المدينة بوجه السياح بحجة العمليات الارهابية التى مورست بحق بعض السياح والقادمين إلى المحافظة الأمر الذي استدعى إغلاق المدينة سياحياً لدواعٍ أمنية:-

أسوار جديدية

ومن سد مارب إلى المعبدين الشهيرين «اوام وبران» عندما وصلت إلى معبد أوام ذي الاسوار الحديدية الهزيلة جداً والتي ربما تم عملها للحفاظ على المعبد ليس من العابثين البشر وإنما من عبث الحيوانات كالكلاب والقطط وبعد أن تعالت الاصوات وارتفعت على حارس المعبد يسمعنا لكن دون جدوى استعنا بأحد الاشخاص في تلك المنطقة لجأ إلى طريقة مثمرة حيث قام برمي الاحجار على موقع تجمع بعض الالواح الحديدية عرفنا بعدها أن الحارس يسكن تحتها وما أن أطل الحارس حتى أدركنا السر وراء عدم سماعه لندائنا فهو شخص مسن ربما تجاوز عمره السبعين عاماً حتى أن بندقيته ربما تكبره بالعمر قليلاً فهي من البنادق التى استخدمها الاتراك. يطلق عليها بالعامية في بعض المناطق «جرمل» وما أن فتح لنا تلك الالواح أيضاً المسمى باباً والذهول يزداد ويتسع رأينا بعض القمامة من مشمعات وعلب بلاستيكية تتراءى في المكان فضلاً عن الشيء الذي مثل صاعقة وهي القطع الاثرية والنقوش والزخارف الحجرية المرمية بكثرة في الارض بشكل عشوائي حيث تم رصفها خلف بعضها في أحد الاماكن الواقع على يسار المعبد عند الدخول من بوابته الحديدية.

تجولنا قليلاً في ذلك المعبد شاهدنا بعض الحفريات المربعة المبنية بأحجار مزخرفة يقال أنها مقابر ربما لعلية القوم، سألنا الحارس لماذا هذه القطع مرمية بهذا الشكل؟؟ أجاب حرصاً عليها من السرقة إذا خرجت من المعبد، كأنه يتكلم عن معبد محصن ومحمي بأسوار عالية وشاهقة الارتفاع وبوابة منيعة يستحيل اختراقها، فالذي شاهدناه اسلاكاً حديدية ضعيفة يسهل اختراقها والولوج عبرها وهذه الاسلاك تستخدم إلا لتسوير الاراضي الزراعية وحمايتها من الحيوانات الاليفة التى تتغذى على ما يتم زراعته في تلك الاراضي؟؟

وبالاتجاه إلى معبد «بران» الذي يمثل جانباً هاماً للحضارة في مدينة مارب ولعل حاله أفضل نوعاً من المعبد السابق إلا أنه لايزال بحاجة إلى الكثير من الوسائل والاساليب الكفيلة بحماية ما تبقى من آثاره وأطلاله الهامة والتي تم اكتشاف الكثير من الاشياء والآثار بصورة مستمرة وما أن تحدث أي تنقيبات حتى يتم اكتشاف المزيد من الكنوز الاثرية والنقوش التي تدلل على الكثير من المواقف التاريخية والاحداث التي تؤرخ لتلك الحقبة الزمنية التي ينتمي إليها المعبد.

ويقول حارس المعبد أنه كان يعج بالسياح بشكل يومي لاسيما في المواسم السياحية وها هو اليوم خال تماماً وربما تمضي اسابيع دون أن يزوره أحد بعد أن كانت كافة أرجائه وزواياه تعج بالسياح، فمجموعة هنا وأخرى هناك وهكذا...